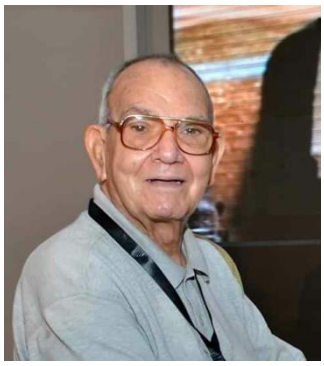

أتى وسيأتي[1]

الدكتور نصحي عبد الشهيد

❋✠❋

لقد أتى المسيح إلى العالم ليُخلِّص الخطاة، وقبل أن يترك هذا العالم وعد تلاميذه بأنه سيأتي ثانية بمجدٍ عظيم على سحاب السماء. فما هي علاقة مجيئه الأول الذي تم بمجيئه الثاني الذي لا نزال ننتظره من جهة حياتنا وخلاصنا؟

لقد أتى المسيح:

«صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلَّ قُبُولٍ: أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ الَّذِينَ أَوَّلُهُمْ أَنَا» (١تي ١: ١٥)، هكذا يُعلن الرسول بولس متهلِّلًا بمحبة الله ورحمته العجيبة وقصده الصالح، في أن يصنع بنفسه خلاصًا للبشر ويهبهم الحياة الأبدية: «بِهَذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ» (١يو ٤: ٩).

لقد جاء المسيح من عند الآب ودخل إلى عالم البشر عن طريق مريم العذراء التي ولدته بالجسد، وكان القصد من هذا المجيء هو أن يُتمِّمَ خلاص البشر ويهبهم حياة أبدية. إنه وِلد ليُخلِّص: «أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ» (لو ٢: ١١). فرغم تمرُّد البشرية وعصيانها لله، إلَّا أنه لم يَكُفَّ عن أن يحبها، لأن المحبة هي طبيعته، ولذلك نراه يأتي إلينا بالجسد بمحبة فيَّاضة لكي يصنع علاجًا لمرض البشرية والفساد الذي أصابها بالخطية.

إنَّ يسوع في مجيئه إلى الأرض إنما يُعلن عن تفتيش الله وبحثه عنَّا، نحن الذين تركنا حضنه الأبوي وذهبنا إلى كورةٍ بعيدة. لقد جاء يطلبنا، ليُخلِّصنا بعد أن أهلكتنا الخطية:

---

(١) مقال سبق نشره في مجلة مرقس عدد يناير ١٩٧٣

«لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» (لو ١٩: ١٠).

ولكي يُتمِّم المسيح خلاصنا وضع ذاته عنَّا على الصليب، لكي يُبطل الخطية ويغلب الموت اللذين أذلَّا الإنسان واستعبداه. وبصلب المسيح وقيامته من بين الأموات أكمل انتصاره على القُوى المُعادية للإنسان: قوة إبليس العامل في الخطية والموت: «فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ - خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ - كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ» (عب ٢: ١٤، ١٥).

لقد اشترك ابن الله معنا في اللحم والدم، إذ أنه قَبْل التجسُّد لم يكن له لحمٌ ودم، ولكنه لكي يبيدَ الموت كان لا بد أن يأخذ جسدًا يستطيع بتقديمه للموت أن يغلب إبليس القوة الفاعلة في الموت. وفعلًا لقد غلب الرب يسوع بموته على الصليب (حتى قبل أن يقوم) قوة الشيطان. وبعد أن خلَّص النفوس التي كانت في الجحيم قام في اليوم الثالث مُعلنًا القيامة بالجسد بصورةٍ منظورة وملموسة. وبذلك صار هو باكورة الراقدين، أي أول من قام بجسد غالب للموت، لا يمكن أن يملك عليه الموت بعد ذلك. وبعد قيامته صعد إلى السماء راجعًا إلى الآب. وكما قال: «أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا» (يو١٤: ٢). إذن فقد مضى المسيح ليُعِد لنا مكانًا عند الآب: «وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا» (يو ١٤: ٣).

وسيأتي المسيح:

لقد وعد المسيح قبل صعوده إلى السماء أنه سيأتي مرةً ثانية من السماء بقوةٍ ومجدٍ عظيم، وفي هذا المجيء الثاني الذي نعيش نحن الآن في انتظاره لن يظهر يسوع في صورة التواضع التي كان يُخفي بها مجده عندما أتى في المرة الأولى، بل سيظهر علانيةً على سحاب السماء: «هُوَذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ، وَالَّذِينَ طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُ عَلَيْهِ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. نَعَمْ آمِينَ» (رؤ ١: ٧). إنه سيأتي في مجدٍ وبهاءٍ عظيمين وجلال يفوق الوصف والتصُّور وجميع الملائكة القديسين معه (مت ٢٥: ٣١). «وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ» (مت ٢٥: ٣١).

سيأتي لكي يجمع مُختاريه من كل مكانٍ على وجه الأرض. وفي هذا المجيء الثاني

المخوف والمملوء مجدًا ستكون نقمة ودينونة للذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيُعاقَبون بهلاكٍ أبدي ودينونة من وجه الرب ومن مجد قوته (١تس ١: ٨، ٩)، أمَّا للذين يعيشون في انتظار مجيء المسيح في صبرٍ وإيمانٍ وثبات، فإنهم يؤهَّلون عند مجيئه للشركة في مجد ملكوته.

ذلك أنه عند مجيء المسيح، الذي نعيش الآن في انتظاره، سيُقيم أجساد الراقدين في حالةٍ غير فاسدة، أي بأجسادٍ روحانية مثل جسد المسيح المُقام. أمَّا المؤمنون الذين يكونون أحياء على الأرض ويعيشون في انتظار المسيح، فإنه سيُغيِّرهم في لحظةٍ في طرفةِ عين بعد أن يُقيم الأموات، يُغيِّرهم لتصير أجسادهم في الحالة الجديدة المناسبة لملكوت الله، أي على صورة جسد مجده. وهكذا يكتمل شمل الكنيسة في كل عصورها منذ بدء الخليقة إلى نهاية الدهور، وينجمع شملها مع المسيح رأسها لكي تشترك معه في مجد الملكوت مع الآب والروح القدس. وهذا هو عُرسُنا الأبدي مع المسيح عريسنا السماوي.

الفترة المتوسطة:

نحن لا نزال الآن ننتظر مجيء المسيح، المجيء المجيد من السماء، إذ نحن الآن نعيش في الفترة المتوسطة بين مجيئه الأول ومجيئه الثاني. هذه الفترة حاسمة وخطيرة بالنسبة لخلاص البشرية. إنها فرصة للتوبة ونوال الرحمة لكل من يتوب، لأن المسيح قد سبق وتمَّم الخلاص في مجيئه الأول بصلبه وقيامته. والخلاص الذي تم في المجيء الأول معروضٌ الآن على كل إنسان، حتى أن كل مَنْ يقبل المُخلِّص الذي صُلِب لأجله تُرفع عنه الخطية ويدخل ضمن الجماعة المفدية التي تتمتع بالشركة مع المسيح منذ الآن، وتنال غفرانًا وتطهيرًا لخطاياها بدم المسيح، وتنتظر بشوق وصبر مجيء المسيح ثانيةً من السماء ليُكمِّل خلاصها بتغيير الجسد ودخول العُرس.

إنَّ هذه الجماعة، أي الكنيسة، قد أعطاها المسيح في عبادتها أن تجتمع باسمه لكي تنال – في هذه الفترة المتوسطة – ثمار عمله الخلاصي في مجيئه الأول، إذ تجتمع لكي تتحد بجسده الذي قدَّمه ذبيحة على الصليب. ثم قام وصعد إلى السماء.

هذا الجسد المُمجَّد يتَّحد به المؤمنون ويشربون الدم الذي سفكه المسيح على الصليب. إذ هم يصنعون ذكرى آلامه وقيامته وصعوده. فانهم كُلَّما يأكلون ويشربون يُخبرون بخلاص الآب الذي تمَّ في مجيء المسيح الأول، ويظلون يُخبرون ويبشِّرون كُلَّما

اجتمعوا وكُلَّما أكلوا وشربوا إلى أن يجيء الرب ثانيةً من السماء.

لقد كانت الكنيسة الأولى تُعبرِّ عن هذه الحقيقة أثناء عبادة القداس الإلهي، أي سر الشكر، مستعملة عبارة «مَارَانْ أَثَا» (١كو ١٦: ٢٢)، وهي عبارة آرامية كانت تُستعمل في خدمة الليتورجية الأولى، ومعناها: "الرب يأتي وسيأتي". وكانوا يقصدون بها أن الرب الذي جاء وأعطى جسده ودمه على الصليب يأتي الآن في وسط الكنيسة، في سرِّ الشكر، وأنهم أيضًا ينتظرون مجيئه الثاني.

إننا لا نزال ننتظر المسيح:

لأن الخلاص الكامل أي تغيير الطبيعة البشرية كاملًا يشمل الجسد أيضًا ليكون في غير فساد ولينال عدم الموت؛ كل هذا لم يتمَّ بعد، بل سيتمِّمه المسيح في مجيئه الثاني. وإن كان هو من ناحيته قد أكمَلَ الخلاص، وأبْطَلَ الموت فعلًا في جسده، ولكن لا يزال للموت بقية في أجسادنا نحن. ولذلك فنحن نموت، ولكننا نموت منتصرين على خوف الموت، لأننا بهذا الموت الذي نموته الآن بعد قيامة المسيح، فإننا نخلع بقية الفساد الذي في طبيعتنا تمهيدًا لتجديد هذه الأجساد بحالةٍ مجيدة عند مجيء المسيح الثاني وبقوة هذا المجيء نفسه.

أيها الشاب العزيز، لقد جاء المسيح إلى العالم ليُتمِّم الخلاص بصليبه وقيامته فما هو موقفك من محبته هذه؟ إن كان موقفك هو القبول، فهذا معناه أن هناك علاقة شخصية لا بد أن تربطك بالمُخلِّص يسوع المسيح. وعلى هذا الأساس، أنت تأتي الكنيسة لكي تشترك معها في الإخبار بموت الرب عن طريق الشركة في جسده ودمه، وتظل تنتظر مع الكنيسة في سهرٍ ويقظة إلى ذلك اليوم الذي فيه يأتي الرب ليُكمِّل خلاصك مع الكنيسة كلها روحًا وجسدًا.

هل يمكنك أن توحِّد نفسك مع كل الجماعة المقدَّسة التي أحبَّت الرب وتحبه على مر العصور، ويكون لسان حالك: "الرب قد أتى وأيضًا سيأتي في مجده" (قانون الإيمان)؟

+ «طُوبَى لِمَنْ يَسْهَرُ وَيَحْفَظُ ثِيَابَهُ» (رؤ ١٦: ١٥).

+ «نَعَمْ! أَنَا آتِي سَرِيعًا. آمِينَ. تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ» (رؤ ٢٢: ٢٠).